جامعة حضرموت: منارة علم تتجاوز الحدود

المحرر

2025-05-24

في زمنٍ تتعاظمُ فيه التحدياتُ، وتتشابكُ فيه الأزماتُ، يظلُّ للعلمِ دورُهُ الأصيلُ بوصفهِ أداةً للبناءِ، ومفتاحًا للنهوضِ، وحلقةَ وصلٍ بين الأممِ. وفي قلبِ هذا المشهدِ، تبرُزُ جامعةُ حضرموت بوصفِها تجربةً أكاديميةً متميِّزةً، تُجسِّدُ مفاهيمَ "الجامعةِ المجتمعيةِ" و"توطينِ العلمِ"، وتُبرهنُ أنّ الجامعاتِ ليستْ مؤسساتٍ تعليميةً فحسب، بل كياناتٍ حيويةً تنهضُ بالمجتمعِ، وتُعيدُ تعريفَ دورِها في التنميةِ الثقافيةِ والاقتصاديةِ والإنسانيةِ.

وقد كان "أسبوعُ حضرموت في روسيا الاتحادية"، الذي نظَّمَتْهُ جامعةُ حضرموت في مايو 2025، مناسبةً دوليةً لافتةً تُبرزُ هذا الدورَ. أسبوعٌ حافلٌ بالفعالياتِ الثقافيةِ والعلميةِ والاقتصاديةِ، احتضنتْهُ جامعاتُ غروزني، وكازان، وموسكو، وأتاحَ للمجتمعِ الروسيِّ فرصةً نادرةً للتعرّفِ على حضرموتَ تراثًا، وإنسانًا، وإنجازًا.

مِنَ المحليّةِ إلى العالميّةِ: الجامعةُ سفيرٌ حضاريّ

في غروزني، عاصمةِ الشيشان، افتتحَ رئيسُ الجامعةِ الأستاذُ الدكتورُ محمّدٌ سعيدٌ خَنبَش المعرضَ المصاحبَ للفعالياتِ، الذي ضمّ أجنحةً تُبرزُ التراثَ الحَضْرميَّ، من العسلِ الشهيرِ ومنتجاتِ السِّدرِ، إلى المعمارِ الطينيِّ والتحفِ الحرفيةِ. لم يكنْ هذا مجردَ عرضٍ فلكلوريٍّ، بل رسالةً ناعمةً مفادُها:

لدينا ما نُسهمُ به في الحضارةِ الإنسانيّةِ، ولدينا ما نحميه ونُعرّف به العالمَ.

وفي كازان، أمامَ حشدٍ دوليٍّ في منتدى "روسيا والعالم الإسلامي"، قدّم رئيسُ الجامعةِ ورقةً علميةً صريحةً بعنوان: "جامعةُ حضرموت أنموذجًا للتعليمِ العالي في ظلِّ الأزماتِ". عرضَ من خلالها تجربةَ الجامعةِ في تجاوزِ الظروفِ الاستثنائيةِ، من خلال خططِ طوارئَ واقعيةٍ، وشراكاتٍ محلّيةٍ ودوليّةٍ، وتمويلٍ ذاتيٍّ لمشروعاتٍ أكاديميّةٍ وبحثيّةٍ بلغت 56 مشروعًا و100 فعاليةٍ في ثلاثِ سنواتٍ، وتوسُّعٍ غيرِ مسبوقٍ في برامجِ الدراساتِ العليا.

الجامعاتُ محرّكٌ للتنميةِ... لا مجرّدُ معاهدَ تدريسٍ

تُثبِتُ تجربةُ جامعةِ حضرموتَ أنّ الجامعةَ ليستْ كيانًا أكاديميًّا معزولًا، بل منصةً حيويةً لتوطينِ العلمِ، وتحفيزِ الاقتصادِ، وبناءِ الهويةِ الثقافيةِ، وتعزيزِ التعاونِ الدوليِّ. ففي "أسبوع حضرموت"، وقّعتِ الجامعةُ اتفاقياتٍ نوعيةً، أبرزُها مع الجمعيةِ الدوليةِ للتنميةِ الإقليميّةِ في كازان، لتعزيزِ الابتكارِ ونقلِ التقنيةِ.

كما قدّمت الجامعةُ في غروزني وموسكو أربع محاضراتٍ نوعيّةٍ استعرضتْ كنوزَ حضرموتَ، من أسرارِ العسلِ وعلومِه، والسياحة البيئية، إلى الرقمنةِ المعماريةِ، فالعمارةِ الطينيةِ كنموذجٍ للبيئةِ المستدامةِ. كلُّ ذلك لم يكنْ مجردَ ترويجٍ، بل توظيفًا للمعرفةِ في خدمةِ التنميةِ، ودعوةً للتكاملِ بين التراثِ والحداثةِ، بين العلمِ والمجتمعِ.

الجامعةُ بوّابةٌ للاقتصادِ المعرفيِّ والتكاملِ التنمويِّ

وفي خطوةٍ نوعيّةٍ تُجسّد انخراطَ الجامعةِ في مسارِ التنميةِ الاقتصاديةِ، التقى الأستاذُ الدكتورُ محمدٌ سعيدٌ خَنبَش خلال زيارته للعاصمةِ الروسيةِ موسكو، بعددٍ من المسؤولين في غرفةِ موسكو للتجارةِ والصناعةِ، حيث ناقش الطرفانِ إمكاناتِ التعاونِ في مجالاتٍ متنوعةٍ تجمعُ بين البحثِ العلميِّ والتبادلِ التجاريِّ.

وقد طُرحتْ خلال اللقاءِ فرصٌ مهمّةٌ للشراكةِ في:

- تسويقِ منتجاتِ العسلِ الحضرميِّ على المستوى الدوليّ. - دعمِ مشروعاتِ الزراعةِ العضويةِ في حضرموت. - الربطِ بين حاضناتِ الابتكارِ الجامعيةِ ومراكزِ الأعمالِ الروسيةِ. - وتأسيسِ برامجَ مشتركةٍ في التدريبِ التقنيِّ والتعليمِ المهنيِّ.

هذا الانفتاحُ على القطاعِ الاقتصاديِّ يُعبّر عن رؤيةٍ متقدمةٍ لوظيفةِ الجامعةِ في العصرِ الحديثِ، بوصفها كيانًا مركزيًّا في الاقتصادِ المعرفيِّ، وصانعًا للتحوّلاتِ التنمويةِ المستدامةِ.

تكريمٌ دوليّ... اعترافٌ بالدورِ الحضاريِّ

وكان خِتامُ الأسبوعِ بحجمِ الجهدِ والرسالةِ؛ إذ كرّمت جامعةُ موسكو الحكومية رئيسَ جامعةِ حضرموتَ بالوثيقةِ الشرفيةِ الذهبيةِ، كأولِ رئيسِ جامعةٍ عربيةٍ ينالُ هذا الوسامَ الرفيعَ، في لحظةٍ أكّدتْ أنّ جامعةَ حضرموتَ باتتْ نموذجًا يُحتذى، لا فقط في صمودِها، بل في رؤيتِها التقدميةِ لدورِ الجامعاتِ في صناعةِ المستقبلِ.

من حضرموتَ إلى العالمِ... الجامعاتُ جسورٌ حضاريةٌ

ما أنجزتْهُ جامعةُ حضرموتَ خلال هذا الأسبوعِ ليسَ حدثًا ثقافيًّا عابرًا، بل تجسيدٌ عمليٌّ لرؤيةٍ طموحةٍ ترى في الجامعةِ مركزَ إشعاعٍ حضاريٍّ، وشريكًا في التنميةِ، وفاعلًا في صناعةِ الصورةِ الدوليةِ للبلدانِ. وفي زمنٍ تتغيّرُ فيه خريطةُ القوى الناعمةِ، تملكُ الجامعاتُ فرصةً ذهبيةً لتعزيزِ موقعِ بلدانِها من خلالِ العلمِ، والابتكارِ، والانفتاحِ الثقافيِّ.

لقد أثبتتْ جامعةُ حضرموتَ، بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ، أنَّ النهوضَ لا ينتظرُ الاستقرارَ الكاملَ، وأنّ الجامعاتِ، حين تخرجُ من أسوارِها، تصبحُ طاقةَ تغييرٍ هائلةً، قادرةً على تجاوزِ الأزماتِ، ورسمِ ملامحِ الغدِ، وتمثيلِ شعوبِها في أرقى المنصّاتِ العالميةِ.

شراكةٌ في خدمةِ المعرفةِ والتنميةِ

هذا، ومن الجديرِ بالذِّكرِ أنّ منظمةَ المجتمعِ العلميِّ العربيِّ وجامعةَ حضرموت تربطُهُما اتفاقيةُ تفاهمٍ وتعاونٍ مشتركٍ، تهدفُ إلى دعمِ البحثِ العلميِّ العربيِّ، وتوطينِ المعرفةِ، وتعزيزِ التنميةِ المستدامةِ في المجتمعاتِ العربيةِ. وقد أثمرتْ هذه الشراكةُ عن مشاريعَ علميةٍ وتنمويةٍ مشتركةٍ، تُجسّدُ الإيمانَ العميقَ بأهميةِ التكاملِ بين مؤسساتِ التعليمِ العالي ومنظماتِ المجتمعِ العلميِّ في النهوضِ الحضاريِّ للأمةِ.

تعريفٌ مختصرٌ برئيسِ الجامعةِ

الأستاذُ الدكتورُ محمدٌ سعيدٌ خَنبَش هو أستاذٌ جامعيٌّ يمنيٌّ، يشغلُ منصبَ رئيسِ جامعةِ حضرموت منذ عام 2012م. وهو أكاديميٌّ وباحثٌ متخصصٌ في علوم نحل العسل، وله إسهاماتٌ علميةٌ بارزةٌ في هذا المجال، خصوصًا فيما

يتعلق بجودة العسل الحضرمي وخصائصه الطبيعية والعلاجية. ويُعدُّ من أبرز الداعمين لتوطين البحث العلمي في اليمن، وقد عُرف بقيادتِه الحكيمةِ للجامعةِ خلال فتراتٍ استثنائيةٍ، حيث أسهم في تحويلِ التحدياتِ إلى فرصٍ، وتعزيزِ الشراكاتِ الدوليةِ لجامعة حضرموت.